

حرف الألف

لولا ابن عائشة المبارك سيبه

يمدح هشام بن عبد الملك :

[من الكامل]

حَيَّوْا أُمَامَةً وَادْكُرُوا عَهْدًا مَضَى
 قَبْلَ التَّصَدُّعِ مِنْ شِمَالِيلِ النَّوَى ^(١)
 قَالَتْ: بَلِيَّتْ، فَمَا نَرَاكَ كَعَهْدِنَا
 لَيْتَ الْعُهُودَ تَجَدَّدَتْ بَعْدَ الْبَلَى ^(٢)
 أُمَامُ! غَيْرِنِي، وَأَنْتِ غَرِيرَةٌ،
 حَاجَاتُ ذِي أَرْبٍ، وَهَمُّ كَالْجَوَى ^(٣)
 قَالَتْ أُمَامَةٌ: مَا لَجَهْلِكَ مَا لَهُ،
 كَيْفَ الصَّبَابَةُ بَعْدَمَا ذَهَبَ الصَّبَا؟
 وَرَأَتْ أُمَامَةً، فِي الْعِظَامِ، تَحْنِيًا
 بَعْدَ اسْتِقَامَتِهَا وَقَصْرًا فِي الْخُطَا ^(٤)
 وَرَأَتْ بِلْحَيَّتِهِ خَضَابًا رَاعَهَا،
 وَالْوَيْلُ لِلْفَتَيَاتِ مِنْ خَضْبِ اللَّحَى

(١) أُمَامَةٌ: اسم امرأة، التصدع: التفرق والشقاق، شماليل: الفرقة، وفي قولهم: ذهبوا شماليل أي متفرقين وشماليل النوى: فرقة البعاد.

(٢) البلى: مفردها بليّة وهي المصيبة.

(٣) أُمَام: مرخم أُمَامَة. غريرة: مؤنث غرير وهو الإنسان غير المجرب للأمور، الأرب: حاجة أو غاية، الجوى: شدة الوجد من حب أو حزن.

(٤) تحنيًا: انحناء.

وَتَقُولُ: إِنِّي قَدْ لَقِيتُ بَلِيَّةً
 (١) مِنْ مَسَحَ عَيْنَكَ مَا يَزَالُ بِهَا قَدَى
 لَوْلَا ابْنُ عَائِشَةَ الْمُبَارَكُ سَيِّبُهُ،
 (٢) أَبَكَى بَنِي وَأُمَّهُمْ طُولُ الطَّوَى
 إِنَّ الرُّصَافَةَ مَنَزِلٌ لَخَلِيفَةٍ
 (٣) جَمَعَ الْمَكَارِمَ وَالْعَزَائِمَ وَالتُّقَى
 مَا كَانَ جُرَبَّ عِنْدَ مَدَجِ حِبَالِكُمْ
 ضَعْفُ الْمُتُونِ وَلَا انْفِصَامُ فِي الْعُرَى
 مَا إِنْ تَرَكْتَ مِنَ الْبِلَادِ مَضِلَّةً
 (٤) إِلَّا رَفَعْتَ بِهَا مَنَاراً لِلْهُدَى
 أُعْطِيتَ عَافِيَةً وَنَصراً عَاجِلاً،
 آمِينَ، ثُمَّ وَقِيتَ أَسْبَابَ الرَّدَى
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ
 (٥) حُسْنَ الصَّنَائِعِ وَالِدَسَائِعِ وَالْعُلَى
 يَا ابْنَ الْخَضَارِمِ لَا يَعْيبُ جُبَاكُمُ
 (٦) صَغَرُ الْحِيَاضِ وَلَا غَوَائِلُ فِي الْجَبَا

- (١) القذى: ما يؤذي العين من قش أو غيره.
 (٢) ابن عائشة: هو عبد الملك بن مروان، سبيه: عطاؤه، الطوى: الجوع.
 والمقصود هنا أنه لولا عطاء وكرم عبد الملك بن مروان المبارك لبكى الأولاد وأمه من شدة الجوع.
 (٣) الرُّصَافَةُ: موقع غربي الرقة، حيث يقع قصر الخليفة.
 (٤) المضلة: أرض يضل ويتوه فيها المسافر.
 (٥) الصنائع: مفردتها صنيعه وهي عمل البر والإحسان، الدسائع: مفردتها دسيعة وهي العطاء الكبير، والمائدة الغنية.
 (٦) الخضارم: مفردتها خضرم وهو كثير العطاء، الجبا: الماء المجموع في الحياض، الحياض: مفردتها حوض وهو بركة الماء، الغوائل: ما يفسد الماء ويهلكه.

- لَا تَجْفُونَ بَنِي تَمِيمٍ إِنَّهُمْ
 تَابُوا النَّصُوحَ وَرَاجَعُوا حَسَنَ الْهَدَى ^(١)
 مَنْ كَانَ يَمْرُضُ قَلْبُهُ مِنْ رِبَاةٍ
 خَافُوا عِقَابَكَ وَانْتَهَى أَهْلُ النَّهْيِ ^(٢)
 وَادُّكِرَ قَرَابَةُ قَوْمٍ بَرَّةٍ مِنْكُمْ
 فَالرَّحْمُ طَالِبَةٌ وَتَرْضَى بِالرِّضَا ^(٣)
 سَوَّسَتْ مُجْتَمَعَ الْأَبَاطِحِ كُلِّهَا
 وَنَزَلَتْ مِنْ جَبَلِي قُرَيْشٍ فِي الدُّرَى ^(٤)
 أَخَذُوا وَثَائِقَ أَمْرِهِمْ بِعِزَائِمٍ
 لِلْعَالَمِينَ وَلَا تَرَى أَمْرًا سَدَى ^(٥)
 يَا ابْنَ الْحُمَاةِ فَمَا يُرَامُ جِمَاهُمْ
 وَالسَّابِقِينَ بِكُلِّ حَمْدٍ يُشْتَرَى
 مَا زِلْتُ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ مِنْكُمْ
 مَنْ حَلَّ نُجُوتَكُمْ بِأَسْبَابٍ نَجَا ^(٦)

- (١) لَا تَجْفُونَ: لَا تَعَادِينَ أَوْ تَخَاصِمِينَ، تَابُوا النَّصُوحَ: تَابُوا تَوْبَةً صَادِقَةً. والمعنى: أَنَّهُ يَطْلُبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَلَّا يَعَادِيَ بَنِي تَمِيمٍ وَهُمْ قَوْمُ الشَّاعِرِ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا عَنْ تَشْيِيعِهِمْ وَوَقُوفِهِمْ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ضِدَّ مَعَاوِيَةَ.
- (٢) أَهْلُ النَّهْيِ: أَهْلُ الْعُقُولِ.
- (٣) بَرَّةٌ: قَبِيلَةٌ هِيَ أُخْتُ تَمِيمٍ، وَيَعْنِي أَنَّ الْقَبَائِلَ الَّتِي تَجْمَعُهَا صِلَةُ الْأَرْحَامِ تَتَصَالِحُ وَتَتَرَاضَى بِبَعْضِهَا.
- (٤) سَوَّسَتْ: مَلَكَتْ، الْأَبَاطِحُ: أَمَاكِنُ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَهِيَ تُعْرَفُ بِالْبَطْحَاءِ، جَبَلِي قُرَيْشٍ: يَعْنِي بِهِمَا هَاشِمًا وَعَبْدَ شَمْسٍ. والمعنى: أَنَّكَ مَلَكَتْ كُلَّ مَنْ كَانَ يَنْزِلُ فِي مَكَّةَ كُلِّهَا وَكَنتِ سَيِّدًا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَعَبْدَ شَمْسٍ.
- (٥) وَثَائِقُ: مَفْرَدُهَا وَثِيقَةٌ وَهِيَ مَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، سَدَى: دُونَ جَدْوَى. والمعنى: أَنَّهُمْ اعْتَمَدُوا فِي تَحْقِيقِ أُمُورِهِمْ بِالْإِرَادَةِ الصَّلْبَةِ وَالْقُوَّةِ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُمْ دُونَ جَدْوَى.
- (٦) النُّجُوتُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. والمعنى: لَقَدْ نَجَا مِنْ حَلٍّ بِأَرْضِكُمْ.

وَإِذَا ذَكَرْتُكُمْ شَدَّدْتُكُمْ فُوتِي؛
 وَإِذَا نَزَلْتُ بَغَيْثُكُمْ كَانَ الْحَيَا
 فَلَا شُكْرَ بَلَاءِ قَوْمٍ ثَبَّتُوا
 قَصَبَ الْجَنَاحِ وَأَثَبْتُوا رِيشَ الْغِنَا
 مَلَكَوا الْبِلَادَ فَسُخِّرَتْ أَنْهَارُهَا
 فِي غَيْرِ مَظْلِمَةٍ وَلَا تَبَعَ الرِّيَا
 أُوتِيَتْ مِنْ جَذْبِ الْفُرَاتِ جَوَارِيَا
 مِنْهَا الْهَنِيُّ وَسَائِخٌ فِي قَرْقَرَى ^(١)
 وَالْمَجْدُ لِلزَّنْدِ الَّذِي أَوْزَيْتُمْ،
 بَحْرٌ يَمُدُّ عُبابُهُ جُوفَ الْقِنَى ^(٢)
 سِيرُوا إِلَى الْبَلَدِ الْمُبَارَكِ فَاَنْزِلُوا
 وَخُذُوا مَنَازِلَكُمْ مِنَ الْغَيْثِ الْحَيَا
 سِيرُوا إِلَى ابْنِ أُرُومَةٍ عَادِيَّةٍ،
 وَابْنِ الْفُرُوعِ يَمُدُّهَا طَيْبُ الشَّرَى ^(٣)
 سِيرُوا فَقَدْ جَرَّتِ الْأَيَّامُنُ فَاَنْزِلُوا
 بَابَ الرُّصَافَةِ تَحْمَدُوا غَبَّ السُّرَى ^(٤)
 سِرْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْمَلَا عِيدِيَّةً،
 يَخْطُبُنَ فِي سُرْحِ النَّعَالِ عَلَى الْوَجَى ^(٥)

(١) جوارياً: الأنهار، الهني: نهر في الرقة، قرقري: مكان في اليمامة.

(٢) الزند: ما يوقد به النار، الجوف: مؤنثها جوفاء وهي الواسعة، القنى: مفرد لها قناة.

(٣) أرومة: أصل النسب، عادية: نسبة إلى قوم عاد.

(٤) الأيا من: من اليمن وهي البركات، غب: العاقبة، السرى: السير في الليل.

(٥) الملا: الصحراء. العيدية: النياق، سرح النعال: النعال السريعة والمخصوصة بالسيور، الوجى: الحفا.

- تَذْمَى مَنَاسِمُهَا، وَهِنَّ نَوَاصِلُ
 (١) مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ وَنَقْضٍ مُرْتَضَى
 كَلَّفْتُ لَاحِقَةَ التَّمِيلِ خَوَامِسًا،
 (٢) غُبَرَ الْمَخَارِمِ وَهِيَ خَاشِعَةُ الصُّوَى
 نَرْمِي الْغُرَابَ إِذَا رَأَى بَرَكَابِنَا
 (٣) جُلَبَ الصَّفَاحِ وَدَامِيَاتِ بِالْكُلَى

- (١) المناسم: مفردها منسم وهو خفّ البعير، النواصل: المتقدّمات في السير، الناجية: السريعة، النقض: المهزول من السير.
 (٢) اللاحقة: الناقة أو الفرس الضامرة، التميل: اللبن الحامض، الخوامس: الإبل التي ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع، المخارم: الطرق في الجبال وأفواه الفجاج، الصوى: مفردها صوة وهي حجر يكون دليلاً في الطريق.
 (٣) الركاب: مفردها ركب وهو ما يعلق في السرج فيجعل الراكب فيه رجله، جُلَبَ: مفردها جلبة وهي القشرة التي تعلو الجرح عند البرء، الصفاح: مفردها صفح وهي الجانب.